موقف (تشَارلز داوتِي) من الوحي ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم دراسة في كتاب ترحال في صحراء الجزيرة العربية

الباحثة / حليمة بنت فايز بن مسفر الأسمري
حاصلة على الماجستير (تخصص العقيدة والمذاهب المعاصرة)
جامعة الملك سعود- المملكة العربية السعودية

المقدمة:

إنّ الحمد لله، نحمدُه ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد اهتم الغربيّون بالرحلات الاستكشافية لجزيرة العرب؛ لما لها من أثر واضح في الكشف عن جوانب كثيرة من الحياة في الشرق، سيّما وأنهم اهتموا بتسجيل وقائع تلك الرحلات، وتدوين أحداثها، ومن ثم أصبحت تمثل مصادر معلوماتية مهمة عن الجزيرة العربية –في نظر الغرب– وعند كل مهتم بدراسة الشرق.

ومن بين الرحّالة الذين خلفوا وراءهم نتاجًا ثريًّا حول الجزيرة العربية؛ الرحّالة الإنجليزي: (تشارلز داوتي)، فقد قام برحلة طويلة إلى الجزيرة العربية في عام ١٨٧٦م، واستمرت سنتين من الزمان، وبعد عودته إلى موطنه ألّف كتابًا دوّن فيه تلك الرحلة، وسمّاه (ترحال في صحراء الجزيرة العربية).

ومن خلال الاطلاع على ما دوّنه؛ ظهرت لي الأهداف الخفية التنصيرية والاستشراقية من رحلته، علاوة على كونها مصدرًا سياسيًّا مهمًّا للغرب والمستشرقين وقد صرّح زويمر في مجلة العالم الإسلامي أن الكتاب بالنسبة له بمكانة الكتاب المقدس في معرفة الإسلام والمسلمين، كما أكّد لورنس العرب * أن كتابه أوفى كتابٍ مرجعيٍّ عن حياة العرب في الصحراء، وأنه ذو قيمة عسكرية، ومن ثم صار يُدرّس في العديد من الكليات والمعاهد العسكرية في بريطانيا، خاصة وأنه ساعد في نجاح الثورة العربية

التي قادها لورنس مع الأمير فيصل بن حسين[١]؛ وعليه جاء هذا البحث ليعالج موقف (تشَارلز داوتِي) من الوحي ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم.

مشكلة البحث:

يُعدُّ كتاب تشارلز داوتي (ترحال في صحراء الجزيرة العربية) بوابة الرحلات الغربية وكشّافها إلى جزيرة العرب أكثر من أيِّ كتاب آخر[٢]، وهو من الكتب التي لقيت رواجًا في العالم الغربي والعربي، وقد كُتب بأسلوب يشدُّ القارئ، وقد وُجد فيه بعض المآخذ التي تتعارض مع مبادئ الدين الإسلامي، إلى جانب الإساءة إلى الوحي وإلى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ومع هذا كله لم أقف على دراسة عالجت موقف (تشَارلز داوتِي) من الوحي ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم

حدود البحث:

انحصرت الدراسة في موقف (تشَارلز داوتِي) من الوحي ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١- القيمة العلمية لهذا الكتاب لدى الغرب والمستشرقين بصفة خاصة.

٢- قلة الدراسات السابقة رغم ما في الكتاب من انحرافات وإساءات للدين، بل إنها في جانب النقد منعدمة.

٣- للكتاب أسلوبه الأدبي الذي قد يغفل معه القارئ عن ما يرد فيه من إساءات، ومخالفات، ويجعله يتعاطف معه من غير شعور بمقاصد حديثه.

٤- تأثُّر البعض من أبناء الجزيرة العربية بما كتبه داوتي عن تاريخهم وأجدادهم.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، وفهرس مكتبة الملك عبد العزيز الرقمية، وفهرس مكتبة الملك فهد الوطنية، وفهرس مكتبة الملك عبد الله الرقمية، وكذلك مواقع الجامعات السعودية، والجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة وشبكة الإنترنت وجدتُ ما يلي:

---

(١) انظر: كتاب ترحال في صحراء الجزيرة العربية لتشارلز داوتي الجزء الأول، تقديم المراجع (ص:١٠). ومجلة العالم الإسلامي اليوم، لصمويل زويمر العدد (٣٣) (ص:١٥٧-١٦٤).

(٢) انظر: ترحال في صحراء الجزيرة العربية لتشارلز داوتي الجزء الأول، مقدمة الكتاب، وكتاب الرحالة الأوربيون في شمال وسط الجزيرة العربية، منطقة حائل لـــ/د. عوض البادي، (ص:٢٠٦). مقدمة الفصل الرابع.

أهداف البحث:

١- بيان معتي الوحي وموقف داوتي منه.

٢- بيان موقف داوتي من نبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم.

٣- بيان موقف داوتي من شخصيَّة محمد صلى الله عليه وسلم.

أسئلة البحث:

١- ما موقف داوتي من الوحي؟

٢- ما موقف داوتي من نبوة محمد صلى الله عليه وسلم؟

٣- ما موقف داوتي من شخصيَّة محمد صلى الله عليه وسلم.؟

منهج البحث:

اعتمدت المنهج الاستقرائي النقدي.

إجراءات البحث:

١- قمت باستقراء الكتاب وجمع النصوص التي ترتبط بمسائل الدراسة، ثم تحليلها، ومقارنتها بالأصل إن استدعى الأمر ذلك.

٢- بيَّنت موقفه من المسائل المعروضة، والاستشهاد لذلك من كتاباته.

٣- قمت بمناقشة الشُّبه والمخالفات الواردة، ونقدها بما هو معتبر لدى الكاتب من كتب النَّصارى والمستشرقين إلَّا في الشبه المُتعلقة بالدِّين الإسلامي، والتي يتعيَّن بيانها من خلال الرجوع للكتاب، والسنة، وأقوال العلماء.

٤- إضافة إلى العمل بالمنهج المتبع في الأبحاث العلمية، ومن ذلك:

- عزو الآيات القرآنية، بذكر اسم السورة ورقم الآية.
- إذا ورد الحديث في البخاري ومسلم اكتفيت بتخريجه عندهما دون ذكر تخريجه في الكتب الأخرى، وإذا لم يكن الحديث في الصحيحين ووجد في الكتب الأخرى، فقد ذكرت المصدر مع الحكم على الحديث.
- بالنسبة للنُّصوص المقتبسة وضعتها بين قوسين صغيرين «» وفي الحاشية ذكرت اسم الكتاب والصفحة، وإذا تصرفت في النص أو حذفت الاستطراد وماشابه وضعت النص بين قوسين كبيرين ( ) وذكرت في الحاشية بتصرف.
- عند التَّرجمة ترجمت لجميع الأعلام عدا الصَّحابة والمشهورين من علماء المسلمين، وكذلك من الغربيين من لم يتكرر في البحث، ولم يكن مؤثرا في شخصية داوتي، وليس له علاقة بصلب المسألة كالذين استشهد بأقوالهم في نهاية المسألة

فهؤلاء اكتفي بوصفهم في المتن إن كان مستشرق أو باحث أو نصراني مهتدي وهكذا.

- عند التوثيق للمرجع اكتفيت بذكر اسم المرجع ثم المؤلف والمحقق إن وجد مع رقم الجزء والصفحة، أما بقية البيانات فقد أرجأتها في فهرس المصادر والمراجع.
- بينت معنى الألفاظ والمصطلحات غير الواضحة.

خطة البحث:

لتحقيق الأهداف المرجوة من البحث قسمته إلى :

- مقدمة تضمنت: البحث وأهدافه ومنهجه.
- المبحث الأول: : الوحي وموقفه منهن ويتضمن:
- أولاً: معنى الوحي في اللغة والاصطلاح
- المبحث الثَّاني: موقفه من نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم، ويتضمن:
- أولاً: موقف داوتي من النبي صلى الله عليه وسلم.
- ثانياً: موقف داوتي من شخصيَّة النبي صلى الله عليه وسلم.

المبحث الأول : الوحي وموقفه منه

أولاً: معنى الوحي في اللغة والاصطلاح.

الوحي في اللغة هو: "الإعلام في خفاء"(١).

ويطلق الوحي على: "الإشارة، والكتابة، والمكتوب، والرِّسالة، والإلهام، والكلَام الخَفِي، وكلِّ مَا أَلقيته إِلى غيرك. وأوحى إليه: بعثه وألهمه"(٢).

والوحي بمعناه اللغوي يتناول عدة معانٍ:

١- الإلهام الفطري للإنسان كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴾ [سورة القصص:٧].

٢- الإلهام الغريزي للحيوان كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴾ [سورة النحل:٦٨].

٣- الإشارة السريعة على سبيل الرمز والإيحاء، كإيحاء زكريا لقومه. قال تعالى: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [سورة مريم:١١].

٤- وسوسة الشيطان وتزيينه الشر في نفس الإنسان كما في قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام:١١٢].

٥- وما يُلقيه الله إلى ملائكته من أمر ليفعلوه قال تعالى: ﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾ [سورة الأنفال:١٢].

٦- وحي الله إلى أنبيائه وهو ما يلقيه الله إليهم من العلم الضروري، وهذا النوع هو أشهر الأنواع وأكثرها في القرآن(٣)، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم:٣-٤].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور؛ مادة "و ح ي".

(٢) القاموس المحيط، الفيروز آبادي؛ باب "الواو والياء" فصل؛ الواو (ص: ١٣٤٢).

(٣) انظر: مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٦٤)، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص: ٢٩).

الوحي في الاصطلاح:

معنى الوحي في الشرع: "أن يعلم الله تعالى من اصطفاه من عباده كل ما أراد إطلاعه عليه، من ألوان الهداية والعلم ولكن بطريقة سرية خفية غير معتادة للبشر"(١).

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ [سورة الشورى:٥١].

والمقصود في البحث؛ هو الوحي بمعناه الشَّرعي وما أوحى الله به من النبوَّة والرسالة على محمد ﷺ.

الوحي عند داوتي:

إنَّ مفهوم الوحي عند داوتي غير صريح ولا ظاهر في كتاباته، لكن من خلال قراءة كتاباته وتأمُّلها، ولا سيَّما عندما يتحدث عن القران وعن نبوة محمد ﷺ، نجد أنه لا يخرج من دائرة المستشرقين والمبشرين النصارى في موقفهم من الوحي النبوي.

وإن تعددت الأفكار والتفسيرات، إلا أنها جميعا تهدف إلى الوصول لغاية واحدة هي، عدم الاعتراف بنبوة محمد ﷺ.

وقد كان داوتي يجيب على كلِّ من يدعوه للإيمان بنبوة محمد ﷺ ورسالته بـــــــــــ: «كل مخلوق رسول الله»(٢).

ويقول عن النبي ﷺ: «.. كان يدور في داخله إحساس بمهمة سماوية أو إن شئت فقل مقدسة في أعماق روحه الهادئة»(٣).

ففي النَّص الأول يظهر أنَّه لا فرق عنده بين الرسول وغيره.

والنَّص الآخر يفهم منه اعتقاده بأنَّ النَّبي ﷺ عندما كان شابًا كان يشعر بنبوته وأن ذلك نابعًا من داخله، وقد وجد ذلك بسبب تأملاته العميقة، والطويلة في الآفاق، وهذا يؤدي إلى أن الوحي عنده لم يكن وحيًا من الخارج.

ومما يظهر أيضًا، أن داوتي حاول تفسير الوحي تفسيرًا ماديًا، فهو لا يسلِّم عقله للغيبيات، فيرى أن الوحي لنبينا –عليه الصلاة والسلام– جاء نتيجة عاطفة إنسانية، ورغبة شديدة لإصلاح المجتمع العربي الذي ولد فيه(٤)، حيث يقول: «عجبا لذلك الرجل الشجاع الذي يخشى الألسنة السليطة! كانت مسألة مهادنة الدناءة والخسة والظلم

(١) مناهل العرفان في علوم القرآن (١/ ٦٣).

(٢) ترحال (ج٢/م٢/٧٧).

(٣) ترحال في صحراء الجزيرة العربية (ج١/م١/ص:٢٣٨).

(٤) انظر: الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (ص: ٣٧).

عملية وضيعة، ومع ذلك هاهنا عالم من الزنوج المخبولين، واقع الأمر أن أحدا من هؤلاء العرب لا يمكن أن يجرؤ على الخوض في ذلك المد وينبري لمعارضة تلك الحشود الحاشدة، ومحمد النبي هو الذي أبدى تلك الشجاعة الروحية الفائقة بين العرب»[(١)].

وقد طابقت هذه النُّصوص مفهوم وتفسيرات المستشرقين للوحي، ولو استعرضنا بعضا منها لوجدنا أنه لا فرق بين تفسيرهم للوحي ومفهوم داوتي له.

فمثلًا: يقول بروكلمان[(٢)]: «إن النبوة كانت أمرا يتوقعه الرسول والذي كان يكلمه صديق له».

ويقول في موضع آخر: «إنَّ محمدًا ﷺ قد وصل إلى اتخاذ قرار ادعاء النبوة بعد مرحلة تفكير عميق واعٍ، ومقارنة واضحة بين عقائد الوثنيين المشركين وبين العناصر التوحيدية التي استقاها من مصادر متعددة»[(٣)].

ويقول أيضًا: «وأغلب الظَّن أن محمدًا ﷺ قد انصرف إلى التفكير في المسائل الدينية في فترة مبكرة جدًّا ومع الأيام أخذ الإيمان يعمر قلبه، ويملك عليه نفسه فيتجلى له فراغ الآلهة الأخرى كان محمد ﷺ يأخذ بأسباب التحنث والتنسك، ويسترسل في تأملاته حول خلاصه الروحي ليالٍ بطولها ... لقد تحقق عنده أن عقيدة مواطنيه الوثنية فاسدة فارغة، فكان يضج في أعماق نفسه بهذا السؤال: إلى متى يمدهم الله في ضلالهم، ما دام ، قد تجلى آخر الأمر للشعوب الأخرى بوساطة أنبيائه، وهكذا نضجت الفكرة في نفسه، أنه مدعو إلى أداء هذه الرسالة، رسالة النبوة»[(٤)].

المناقشة والرَّد:

إنَّ هذه الافتراءات هي تكرار لما كان يدَّعيه مشركو العرب الذين عاصروا النبي ﷺ، فقد قالوا إنَّه مجنون وقالوا شاعر وكاهن، وغيرها من الاتهامات، ولكنَّهم غلَّفوها بغلاف علمي حتى تكون أدعى للقبول والرواج، ومن خلالها يصلوا إلى مرادهم، وقد

---

(١) ترحال (ج٢/م١/ص:٢٦٨).

(٢) كارل بروكلمان (١٨٦٨- ١٩٥٦م)، مستشرق ألماني، درس اللغات الشَّرقية على يد عدد من المستشرقين المتخصصين في عدد من الجامعات الأوروبية، حتى أتقن إحدى عشرة لغة شرقية. له مؤلفات عديدة؛ من أبرزها: تاريخ الشعوب والدول الإسلامية، والذي لم يخل من الطعن والتشكيك في الإسلام. انظر: عبدالرحمن بدوي، مرجع سابق (٥٧-٦٦).

(٣) الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين، عبدالرحمن عميرة (ص:١١٢) ينسبها في الكتاب الى بروكلمان ولكن لم يوثق، ولم أجدها في كتاب بروكلمان بل وجدت كلاما بالمعنى.

(٤) تاريخ الشعوب الإسلامية كارل بروكلمان (ص:٣).

نفى الله لأ عن نبيه كل ذلك ورد عليهم، بقوله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [سورة النجم:٣-٤].

كما أنَّ الأدلَّة العقليَّة والنقليَّة، تؤكِّد بطلان أن يكون الوحي من داخل نفس النبي ﷺ، وتؤكد إلهية الوحي، ومن خلال ما يلي يمكن إثبات الحق، ورد هذا الإفتراء:

أولًا: لا صحَّة لما يدَّعيه داوتي وغيره، من أنَّ النبي ﷺ عندما كان يتعبد في غار حراء، كان لديه إحساس وشعور مسبق للنبوة، فإنه ﷺ لم يكن يعلم بذلك ولا يرجوه، وما كان يدور بخلده أنه نبي هذه الأمة المبعوث، وليس أدل على هذا من قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَمَا كُنتَ تَرْجُو أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَافِرِينَ ﴾ [سورة القصص:٨٦].

فهي صريحة في أن النبي ما كان يؤمّل ذلك، ولكن ألقى الله إليه الكتاب رحمة منه له، وبالناس كلهم، لا كسب له فيه بعلم، ولا عمل ولا رجاء ولا أمل، فالنبوة ليست بالتمني ولا بالرياضات الروحية، وإنما هي اصطفاء رباني[(١)] كما قال تعالى: ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾ [سورة الحج:٧٥].

ولو كان الأمر كما يقولون، لما خاف النبي ﷺ عندما نزل عليه الوحي أول مرة، وعاد إلى زوجته خديجة طالبا منها أن تهدئ من روعه[(٢)]، كما ورد في الروايات الصحيحة[(٣)].

---

(١) انظر: المدخل لدراسة القرآن الكريم (ص: ٩٩).

(٢) عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح ثم حبب إليه الخلاء، وكان يخلو بغار حراء فيتحنث فيه، وهو التعبد الليالي ذوات العدد قبل أن ينزع إلى أهله ويتزود لذلك ثم يرجع إلى خديجة فيتزود لمثلها حتى جاءه الحق، وهو في غار حراء فجاءه الملك، فقال: اقرأ، قال: ما أنا بقارئ، قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، قلت، ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني، فقال: اقرأ، فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴾ [سورة العلق: ١-٣] فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده فدخل على خديجة بنت خويلد ل، فقال: زملوني زملوني فزملوه حتى ذهب عنه الروع، فقال: لخديجة وأخبرها الخبر لقد خشيت على نفسي، فقالت خديجة: كلا والله ما يخزيك الله أبدا إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن عم خديجة ... الحديث» صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي، باب: كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح(٣).

(٣) انظر: آراء المستشرقين حول مفهوم الوحي (ص٦٤).

ثانيًا: يشهد التاريخ وسيرته ﷺ التي يعرفها المستشرقون جيدا، أن النبي ﷺ مكث في قومه أربعين سنة، لم يتكلم فيها بشيء من جنس القرآن، ولم يعدهم بشيء، ولو كان يتوقع أنه سيكون نبياً، لتكلم بشيء عن ذلك مع قومه وهو مازال في شبابه(١).

ثالثًا: أنَّ داوتي يثبت الوحي لأنبياء بني إسرائيل، ولا إشكال بالنسبة إليه في ذلك، بينما ينكر نبوة محمد ﷺ والوحي إليه، وما ذلك إلا بسبب تكبره وتعصبه الديني، فداوتي وقومه ينكرون أن يكون محمد ﷺ ذا نبوة صحيحة، بينما هم يقرون بهذه النبوة نفسها لجميع أنبياء بني إسرائيل(٢).

ويقال: إن كان داوتي(ينكر الوحي جملة، فلا نبوات البتة وسقطت ديانته قبل أن يسقط الإسلام، وإن كان يؤمن بالوحي ويصدق أنبياء اليهودية والنصرانية، وينكر نبوة محمد ﷺ والوحي عليه، فهذه تفرقة لا سبب لها إلا التعصب)(٣).

رابعًا: الحالة التي كانت تعتري النبي ﷺ أثناء نزول الوحي، وهذه حالة لا تصيب أيًّا من البشر، كما تروي لنا عائشة ل فتقول: ((إنَّ الحارث بن هشام ت سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّه علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلًا فيكلمني فأعي ما يقول» قالت عائشة ل: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإنَّ جبينه ليتفصَّد عرقًا))(٤).

كذلك حال نزول الوحي، وما يسمع من الأصوات لحظتها فكل من عاصره من الصحابة، وجلس بجواره لحظات لقاء جبريل معه ونزول الوحي عليه، يسمع أصوات يصفونها كدوي النحل(٥)، فهذا الصوت الحادث من أين يأتي؟(٦).

خامسًا: اعتراف جمع من المستشرقين، وعلماء الغرب المنصفين بصدق النبي ﷺ، وأنَّه نبيٌّ يوحى إليه، وهذا الوحي إلهي حقًّا لا يمكن لأيِّ أحد إنكاره، ومن ذلك: ما

---

(١) انظر: بشرية المسيح ونبوة محمد (ص:١٨٩).

(٢) انظر: افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي، عبدالكريم علي باز (ص:١٠١).

(٣) محمد الغزالي في دفاع عن العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين (ص:١٧)، بتصرف.

(٤) صحيح البخاري: كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح(٢).

(٥) ورد عن عمر بن الخطاب ت يقول: «كان النبي ﷺ إذا أنزل عليه الوحي سمع عند وجهه كدوي النحل فأنزل عليه يوما فمكثنا ساعة فسري عنه... الحديث» سنن الترمذي: كتاب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ، باب ومن سورة المؤمنون ح(٣١٧٣)، قال الشيخ الألباني: ضعيف.

(٦) انظر: شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة، عرض ونقد، مرجع سابق (ص:١٢٧).

يقوله المستشرق "أدوار مونتيه" فى مقدمة ترجمته الفرنسية للقرآن: «كان محمّد نبيّا صادقا كما كان أنبياء بنى إسرائيل فى القديم، كان مثلهم يؤتى رؤيا ويوحى إليه وكانت العقيدة الدينيّة وفكرة وجود الألوهية متمكنتين فيه كما كانتا متمكنتين فى أولئك الأنبياء أسلافه»(١).

وكذلك يقول المستشرق الانجليزي "اللورد هدلي"، وقد اهتدى الإسلام: «إنَّ رسالة محمد إلهية صادقة لا ريب فيها، هدى للمتقين أوحى الله بها إليه، فجاءت مخففة لصرامة أحكام التوراة مكملة لكتاب المسيح»(٢).

سادسًا: نصوص الكتاب المقدس لدى النصارى تثبت هذا(٣)، وترد على داوتي افتراءه؛ ومن ذلك ما ورد في التوراة: «ها أنا سوف أرسل رسولي فيعزل طريقا بحضوري وحينئذ يأتي إلى هيكله الولي الذي أنتم تلتمسون ورسول الختان الذي انتم راغبون هو ذا آت»(٤).

فالمقصود برسول الختان، محمد ﷺ.

وفي الإنجيل: «وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية من ذاك يمجدني، لانه يأخذ من مالي ويخبركم»(٥).

وهذا ما تحقَّق في الرسول ﷺ الذي تلقى الوحي عن الروح القدس جبريل عليه السلام ولم يأت نبي يمجد المسيح عيسى عليه السلام إلا محمد ﷺ(٦).

سابعًا: الفرق البيّن، بين النَّص القرآني والحديث النبوي، فعبارات القرآن فيها من البلاغة والإعجاز ما يقصر عن إدراكه البشر وكل المخلوقات، ولو كان القران من كلام محمد ﷺ، لم يكن هناك فرق في الألفاظ، فبينه وبين حديث رسول الله ﷺ فرق كبير في إعجاز ألفاظه ومعانيه(٧).

---

(١) الوحي المحمدي، محمد رشيد رضا (ص: ٣٧).

(٢) افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان، مرجع سابق (ص:١٠١).

(٣) ذكرت بعض النصوص التي تثبت الوحي لأنبياء بني إسرائيل في مطلب (الأنبياء والرسل سابقا)، وسيأتي ذكر البعض الآخر في بشارات الإنجيل في المطلب التالي.

(٤) سفر ملاخي إصحاح الثالث عدد ١، من النسخة المحفوظة لدى اليهود. انظر: محمد الطهطاوي في كتابه محمد رسول الله في التوراة والإنجيل والقرآن (ص٢٧)، ط: القاهرة ١٩٧٢م.

(٥) انجيل يوحنا (١٦: ١٣).

(٦) انظر: افتراءت فيليب وبروكلمان، مرجع سابق (ص١٠٢، ١٠٣).

(٧) انظر: شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة، مرجع سابق (ص:١٢٨).

المبحث الثَّاني: موقفه من نبيِّنا محمد صلى الله عليه وسلم

أولاً: موقف داوتي من نبُوَّته صلى الله عليه وسلم :

من خلال كتابات داوتي يتبيّن عدم ايمانه بنبوة خاتم المرسلين محمد ﷺ وأنَّه نبي مرسل من عند الله إلى الناس كافة، بو إنَّما يرى أنَّه أرسل إلى العرب خاصة، ولكنه لم يصرح[١] بأنه مخادع، أو كاذب، أو مهووس كما قال بذلك بعض المستشرقين[٢].

وفيما يلي بعض النصوص التي تبين موقفه من نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم:

النص الأول: عندما سئل من قبل أحد العرب: «ألا يوجد في كل موضع من ديانتكم [موضعا لمسبة، تصبّونها كل][٣] يوم على محمد رسول الله؟» فرد عليه داوتي: «البعض منكم [ليسوا طيبين][٤]، لقد أعيتني أساطيركم، [وحكاياكم] العامرة بالحقد. نحن لا نجدف في حق محمد الذي تقولون إنه نبيكم، ولكن ندعو لكم يوميا في كل كنائسنا بأن يرحمكم الله، خبروني[٥]متى عاش محمد؟ بعد عيسى بستة عصور كان الوقت عند ذلك الوقت مؤاتيا لتعليم آبائكم الوثنيين الكبار، وهل أنتم أفضل من آبائكم؟ الله يعلم أننا أفضل، آباؤنا كانوا في الجاهلية ولأننا لا نعرف ذلك أنتم جدد علينا ونحن في مكان إخوانكم الأكبر سنًّا وأنا فيما يتعلق بي شخصيًّا أرى أن الأديان كلها صحيحة، وبخاصة أنها تصلح حال الإنسان من هنا يصبح بوسعي احترام دينكم»[٦].

نص داوتي السابق فيه شيء من الغموض، وكأنَّ داوتي يريد شيئًا لا يستطيع التصريح به[٧] لسبب من الأسباب، لكن فيما يظهر أنَّه يرى أنَّ محمد ﷺ لا يعنيه، وأنَّ النَّصارى لا يقلِّلون من شأنه كشخص، وكأنه يريد القول: إن كان نبيًا صادقًا كما تقولون، فهو نبيٌّ للعرب خاصة، والذي يؤيد هذا أنه قال: (نحن في مقام إخوانكم

---

(١) عدم تصريح داوتي بموقفه تجاه النبي ﷺ لا يعني منه أن موقفه محايد، وإنما قد يكون يخشى من ردة فعل العرب.

(٢) تفاوت آراء المستشرقين في موقفهم من النبي ﷺ، فمنهم من يرى أنه مصلح اجتماعي وبعبقريته صنع هذا القرآن الكريم، ومنهم من يرى أنه مخادع واستعان باهل الكتاب في كتابة القرآن ثم ادعى انه دين جديد، ومنهم من قال بأنه عرض نفسي.

(٣) سوء ترجمة.

(٤) هكذا وردت في الكتاب، وهذا خلل واضح في الترجمة والصحيح (غير).

(٥) هكذا وردت والصحيح (أخبروني).

(٦) ترحال (ج١/م١/ ص: ٥١٨) النص كما هو.

(٧) ثبت على داوتي هذا النص: «كلمات ذاك النبي العربي الذي يقول أنه رسول الله » رحلات داوتي في الجزيرة العربية، ترجمة عدنان حسن (ص:٥٠). وعند الرجوع إلى ترجمة صبري وهي المعتمدة في البحث، ووجدت فيها سقط من المترجم لإساءتها.

الأكبر سنًّا)، أي: نحن وأنتم سواء لا فرق بيننا وبينكم لنا نبي ودين، ولكم نبي ودين ولأننا أتينا بعدهم فهم في مقام الأكبر سناً.

النص الثاني: عندما سأله أحدهم: عمَّا إذا كان في الإنجيل شيء عن محمد ﷺ فقال: «لا. ليس في الإنجيل، أيُّ شيء عنه وأنا أعرف الإنجيل كلمة كلمة ..».

ثم سُئل مرة أخرى: «أليس في الإنجيل أنَّ نبيًّا بعد عيسى اسمه حامد؟». فأجابه داوتي: «لا ليس في الإنجيل شيء عن محمد، ولو أن شيئا من هذا ورد في الإنجيل لاعتنقت الإسلام ودخلت فيه»(١).

ثم يقول مُعلِّقًا على الحوار الذي دار بينهما: «لقد كان ذلك الذي يعنونه بتلك النُّبوءة عن حامد، أو محمد يشكِّل لي لغزًا ([فهذا](٢) الاسمان شيء واحد) في الإنجيل المسيحي. ونحن نقرا في الآية: (٦) من السورة (٦١) من القرآن: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الصف:٦].

وهذا الأحمد، أو هذا العظيم المبارك، ورد اسمه باليونانيَّة القديمة في الكتاب المقدس الجديد، أو الهيليني على أنه شديد الوضوح. ومن هنا، فإنَّ علماء الدين غير المتحضرين، يقولون إنَّ علماء النصارى الحاقدين، حرفوا الكلمة اليونانية التي معناها مريح (وهذه الكلمة وردت أربع مرات في الإصحاح الأخير للمسيح من الآية (١٤) إلى الآية (١٦) من سورة القديس جون(٣)»(٤).

في النَّص السابق إنكار داوتي للبشارة بالنَّبي محمد ﷺ في الإنجيل، وذكر البشارة التي وردت في إنجيل يوحنا، وفسَّرها على مذهب النَّصارى المنكرين.

وعند تأمل كلام داوتي السابق وتفسيره؛ يتبيَّن أنَّ إنكاره للنُّبوة، ناشئ عن تعصّبه الشديد لدينه وحقده على الإسلام، حيث قال: (ولو أنَّ شيئًا من هذا ورد في الإنجيل لاعتنقت الإسلام ودخلت فيه)، مع أنَّه كان يعرف البشارات التي وردت في الإنجيل بنص قوله السابق، ويظهر أنها كانت تسبب له إشكالًا، وتفسير ذلك أن من

(١) انظر: ترحال (ج٢/م١/ص:٢٠).

(٢) خطأ لغوي والصحيح: فهذان.

(٣) القديس يوحنا الإنجيلي، وهو كاتب إنجيل يوحنا.

(٤) انظر: ترحال (ج٢/م١/ص:٢٠).

ينظر إلى كتاب النصارى ملتزمًا المقاييس العلمية والعقلية، يجد فيه تناقضات ومغالطات، ومن ثَمّ يشك في حقائقه ومصداقيته. وهذا بالفعل ما كان عليه داوتي فميله العلمي من جانب، وتعصبه لنصرانيته من جانب خلق عنده هذا الشك، ولا عجب في ذلك.

الرّد والمناقشة:

باعتبار النصوص السابقة، يمكن مناقشة داوتي فيما يتعلق بموقفه من نبوة محمد ﷺ والرد عليه من خلال ما يلي:

أولاً: إثبات نبوته ﷺ بالدلائل المعتبرة عنده.

ثانيًا: إثبات أنَّ رسالته عامة وليست خاصة بالعرب.

ثالثًا: مناقشة البشارة التي أوردها وحل الإشكال.

أولًا: إثبات نبوته صلى الله عليه وسلم بالدلائل المعتبرة عند داوتي:

اعتاد العلماء والباحثون عند مناقشة المنكرين لنبوة محمد ﷺ، إثبات نبوته بدلائل كثيرة كالمعجزات التي أجراها الله على يديه، وحاله هقبل النبوة... وغيرها، ولمَّا كان مصدر هذه الدَّلائل النَّقل الصَّحيح المتواتر غير معتبر عند داوتي، فلا فائدة من سرد هذه الأدلة؛ لذلك سأتجاوز كل هذه الأدلة وسأذكر الأدلة على نبوته ﷺ من خلال كتب النصارى، فالإخبار بالنبي ﷺ والبشارة به في كتب النَّصارى من أهم الدلائل التي تثبت نبوته، وهي واضحة وصريحة لا ينكرها إلا جاحد مضلل. قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ [سورة الأعراف:١٥٧].

وقال: ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة البقرة:١٤٦].

فلا شك أنَّ أهل الكتاب كانوا ينتظرون نبيًا بشَّر به عيسى عليه السلام في كتابهم، بل كانوا يعرفونه بصفاته، ويدلُّ عليه إخبار كثير منهم بعد بعثته بصفاته ﷺ، فالنَّجاشي ملك الحبشة لما هاجر إليه الصحابة ي سألهم عما يُخبر به هذا النبي، وطلب منهم

قراءة شيء من القرآن، فقرأوا عليه، فقال: «إنَّ هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة»(١).

وكذلك ورقة ابن نوفل، لما أخبره النبي صلى الله عليه وسلم بما رآه وكان ورقة قد تنصَّر، وكان يكتب الإنجيل بالعربية، فقال: هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى، وكذلك هرقل ملك الروم(٢)، وغيرهم.

يقول شيخ الإسلام: «وقد تواتر عن الأنصار أن جيرانهم من أهل الكتاب كانوا يخبرون بمبعثه، وأنه رسول الله، وأنه موجود عندهم، وكان هذا من أعظم ما دعا الأنصار إلى الإيمان به لما دعاهم إلى الإسلام، حتى آمن الأنصار به وبايعوه من غير رهبة ولا رغبة، وكذلك ما تواتر عن إخبار النصارى بوجوده في كتبهم مثل إخبار هرقل ملك الروم والمقوقس ملك مصر صاحب الإسكندرية والنجاشي ملك الحبشة والذين جاءوه بمكة»(٣).

لكن أهل الكتاب فيما بعد أخفوا هذه البشارات من كتبهم، وحرفوا وبدلوا وكل ذلك حسدًا وتكبرًا، وقد كشف الله ذلك بقوله: ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [سورة المائدة:١٣]. وقال: ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [سورة آل عمران:٧١].

ومن البشارات التي وردت في كتابهم المقدس، والتي تثبت نبوة نبينا ﷺ، ما يلي:

أ. بشارة موسى عليه السلام في التوراة :

«قال لي الرب: قد أحسنوا في ما تكلموا، أقيم لهم نبياً من وسط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه. ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع

---

(١) الحديث الطويل الذي روته أم سلمة قالت: ((لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها خير جار النجاشي آمنا على ديننا وعبدنا الله لا نؤذى ولا نسمع شيئا نكرهه فلما بلغ ذلك ... إلى أن قالت: فأرسل إليهم يسألهم عنه ... فلما دخلوا عليه قال لهم: ما تقولون في عيسى بن مريم، فقال: له جعفر بن أبى طالب نقول فيه الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، قالت: فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودا ثم قال ما عدا عيسى بن مريم ...)) مسند الإمام أحمد بن حنبل: حديث جعفر بن أبي طالب وهو حديث الهجرة (٢٠١/١)، ح(١٧٤٠)، تعليق شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) انظر: شرح الطحاوية، ط الأوقاف السعودية (ص: ١١٢).

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ١٦٠-١٦١).

لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه، وأما النبي الذي يطغى فيتكلم باسمي كلاماً لم أوصه به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي»[(١)].

وقد أثبت علماء المسلمين قديما وحديثا أن هذا النبي المرتقب الذي لا تزال تبشر به التوراة -إلى الآن- لا يمكن أن يكون سوى محمد نبي الإسلام ﷺ، فهو النبي الوحيد الذي ظهر بعد موسى وينطبق عليه أنه "مثل موسى" تمامًا، ويستبعد أن يكون عيسى كما قال النصارى، أو أنه يوشع بن نون كما قال اليهود، وذلك لأسباب كثيرة، أذكر منها:

١- (أنَّ عيسى ويوشع -عليهما السلام- من بني إسرائيل، والتوراة قد ذكرت أنه لن يكون نبيًّا في بني إسرائيل مثل موسى، ففي سفر التثنية: «ولم يقم بعد نبي في بني إسرائيل مثل موسى»[(٢)].

٢- أنَّ موسى ومحمدًا -عليهما الصلاة والسلام- كلًّا منهما له كتاب وشرع، أمَّا يوشع وعيسى -عليهما السلام- فليس لهم ذلك، فقد جاءت شريعة عيسى عليه السلام متممة لشريعة موسى عليه السلام؛ لذلك فلا يمكن أن يكون أيًّا من عيسى أو يوشع -عليهما السلام- المقصود في البشارة.

٣- أنَّ موسى ومحمدًا -عليهما السلام- كلًّا منهما قد حُمل به وولد ولادة طبيعية بخلاف عيسى عليه السلام، فإنه ولد من غير أب، بينما محمد-عليه الصلاة والسلام -مثل موسى في هذا.

٤- جاء موسى من بيت اختص بالخدمة الدينية وهم بنو لاوى، فقد: «أفرز الرب سبط لاوى ليحملوا تابوت عهد الرب ولكي يقفوا أمام الرب ليخدموه ويباروا باسمه»[(٣)]، وكذلك محمد ﷺ انحدر من بيت اختص بالخدمة الدينية، فقد كان بنو عبد مناف أصحاب الرفادة والسقاية، لحجاج بيت الله.

٥- كان موسى عليه السلام راعي غنم قبل رسالته، وكذلك كان محمد ﷺ قد رعى الغنم قبل بعثته.

---

(١) سفر التثنية (١٨: ١٧-٢٠).

(٢) سفر التثنية (١٠/٣٤).

(٣) النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام (ص: ١٢٢).

٦- تزوج موسى عليه السلام قبل رسالته، وكانت له ذرية[١]، وكذلك تزوج محمد ﷺ قبل رسالته، وكانت له ذرية من خديجة)[٢].

وبهذا يتبين أن (هذا الموعود به في البشارة ليس هارون عليه السلام؛ لإنه قد مات قبل موسى عليه السلام، وليس يوشع بن نون، لأنه وموسى -عليهما السلام- من بني إسرائيل والبشارة تقول: "من إخوتهم" فتعين أن يكون من ولد إسماعيل أخي إسحاق أبي إسرائيل، فإنهما إخوان وأولاد أحدهما أخوة الآخرين، ولم يخرج من ولد إسماعيل إلا محمد ﷺ، فيكون هو الموعود به)[٣].

ب. بشارة داوود عليه السلام في الزبور:

«سبِّحوا الله تسبيحًا جديدًا، وليفرح بالخالق من اصطفى الله له أمته وأعطاه النصر، وسدَّد الصالحين منهم بالكرامة، يسبحونه على مضاجعهم ويكبرون الله بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين؛ لينتقم بهم من الأمم الذين لا يعبدونه»[٤].

وهذه الصفات، إنَّما تنطبق على سيِّدنا محمد ﷺ وأمته، فمعنى يكبرون الله بأصوات مرتفعة، إشارة إلى ما يفعله الحجيج من التلبية والمسلمين في الآذان في الصلوات[٥].

وداوتي في أكثر من موضع في كتابه، وصف الأذان ونداء الصلاة، كما وصف تلبية الحجاج التي كانت تزعجه[٦].

جـ. بشارة أشعياء في وصف أمة محمد صلى الله عليه وسلم :

يقول أشعياء عليه السلام: «ستمتلئ البادية والمدن من أولاد قيذار يسبحون، ومن رؤوس الجبال ينادون، هم الذين يجعلون لله الكرامة، ويسبحونه في البر والبحر»[٧].

---

(١) انظر: سفر الخروج (٤: ٢٠).

(٢) انظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام (ص: ١١٧)، بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ (ص:٢٠٢).

(٣) الأجوبة الفاخرة، القرافي، (ص:١٧٩)، بتصرف.

(٤) كتاب المزامير (١٤٩/١-٩).

(٥) انظر: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٢٦)، وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل، سابق (٢/ ٦٦٠).

(٦) سيأتي ذكر ذلك في مسألة الصلاة في: مبحث (موقفه من فروض الدين).

(٧) هذا النص عند ابن تيمية في الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٦٢).

والنَّص في الترجمة الحديثة: «لترفع البرية ومدنها صوتها، الديار التي سكنها قيدار لتترنم سكان سالغ، من رؤوس الجبال ليهتفوا، ليعطوا الرب مجدًا، ويخبروا بتسبيحة في الجزائر»[١].

وقيذار المذكور في البشارة هو ابن إسماعيل كما تقول التوراة في سفر تكوين: «وهذه أسماء أبناء إسماعيل مُدوَّنة حسب ترتيب ولادتهم: نبايوت. وقيذار وأدبئيل»، والنبي ﷺ من نسل إسماعيل[٢].

كما أنَّ داوتي ينعت العرب كثيرًا بالإسماعيليين[٣]، وفي هذا إقرار منه أنَّ النبي ﷺ وأمته من نسل إسماعيل، كما أن سالعًا هو جبل "سلع"[٤] في المدينة المنورة، والترنم والهتاف هو ذلك الأذان الذي كان يصدع كل يوم خمس مرات، وذلك التكبير والتحميد في الأعياد وفي أطراف النهار وآناء الليل كانت تهتف به الأفواه الطاهرة من أهل المدينة الطيبة بجانب سلع[٥].

ثانيًا: إثبات أن رسالته عامة :

كثيرا ما يَفصِل داوتي بين دين الإسلام ودين النَّصارى، ويقارن بين دين عيسى عليه السلام ودين محمد ﷺ، وكأنَّ النبي صلى الله عليه وسلم ليس نبيًّا للنَّصارى، وإنَّما هو نبيٌّ للعرب دون غيرهم، ومن خلال موقف داوتي من الإيمان بالرسُل في المبحث السابق والنصوص التي تبين إنكاره لنبوته ﷺ، تبيَّن أنَّ داوتي لا يعترف بعلاقة النصارى بهذا النبي تعصبًا منه، وحاول جاهدًا إنكار بشارة عيسى بمحمد -عليهما أفضل الصلاة وأتم التسليم-، وهذه من الشبه التي وقع فيها النصارى، إذ أن دعوة النبي محمد ﷺ لم تكن مقتصرة على العرب كما يزعم داوتي، وإنَّما كانت عامَّة لجميع الخلق، بل وناسخة لجميع الأديان، ويدُل على ذلك ما يلي:

أولًا: باعتبار قول داوتي أنَّ محمدًا هو نبي للعرب خاصة، وأنَّ دعوته محصورة في جزيرة العرب، فيلزم منه أن يكون محمد نبيًّا موحى إليه من الله، وكلُّ ما يقوله حق ويجب تصديقه فيه، ومن الحق الذي جاء به: ما ورد في القران عن عموم رسالته، قال

(١) سفر اشعياء الاصحاح (٤٢/١٠، ١٣).

(٢)النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام (ص: ١٣٦).

(٣) سيأتي ذكر النصوص في مبحث (موقفه من الإسلام والمسلمين – النصرانية).

(٤) سلع: جبل بسوق المدينة، قال الأزهري: "سلع موضع بقرب المدينة"، معجم البلدان (٣/ ٢٣٦).

(٥) انظر: الرسل والرسالات، عمر الأشقر (ص:١٧٠).

تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة سبأ:٢٨].

وقوله: ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [سورة الأعراف:١٥٨].

وغير ذلك الكثير من الآيات الصريحة في كتاب الله العزيز التي تدل أنه صلى الله عليه وسلم أُرسل إلى النَّاس كافة.

ومَّما ورد في السنة، من أقواله وتطبيقاته ﷺ ما جاء عن أبي هريرة ت أنَّ رسول الله ﷺ قال: «فضِّلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرُّعب، وأحلَّت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهورًا ومسجدًا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون»[(١)].

فكل ما سبق يشهد على نبوَّته للنَّاس كافّة، ويلزم من داوتي تصديقه في ذلك؛ لأنَّه نبيٌّ موحى إليه وكل ما يأتي به فهو الحق[(٢)].

ثانيًا: أنَّ رسالة نبيِّنا ﷺ مؤهلة أن تكون للنَّاس جميعًا بخلاف الأديان الأخرى؛ لأنَّ من خصائص هذا الدين أنَّه صالح لكل زمان ومكان ولكلِّ الشُّعوب بمختلف أعراقهم وأصولهم، وقد انفرد عن غيره من الأديان بهذه السمة، وذلك؛ لأنَّ رسالته تحمل جميع مقومات العالمية، كتحقيق العدل والمساواة بين الناس، ونبذ العنصرية التي يتشبث بها النصارى والغرب، كذلك هذا الدين هو نظام متكامل يضمن للناس –بكافة تشريعاته– حياة مستقرة متوازنة، كما أنه دين أخلاقي اهتم بصلاح الناس، وتكافلهم وتضامنهم. إلى غير ذلك من مقومات العالمية التي يجب أن تكون في الدين ليكون صالحًا لاستمراريته، ولا يمكن حصرها في هذا المقام[(٣)].

ولذلك فإن ما قاله داوتي: «أرى أن كل الأديان صحيحة، وبخاصة أنها تصلح حال الإنسان من هنا يصبح بوسعي احترام دينكم»[(٤)] لا يمكن تطبيقه على دين النصارى واليهود في هذه الفترة، فدين اليهود اهتم بالجانب التشريعي وأغفل تمامًا، الجانب الروحاني، في المقابل دين النَّصارى يغلب عليه جانب الروحانية، وتعاليمه لم

(١) صحيح مسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ح(٥٢٣).

(٢) انظر: الجواب الصحيح، تحقيق: سفر، مرجع سابق (١/١١١).

(٣) انظر: افتراءات المستشرقين على أصول العقائد (ص:١٧٨)، وما بعدها.

(٤) ترحال (ج١/م١/ص:٥١٨).

تهتم بمسيرة الإنسان، ومعاملاته، وتفاعلات الحياة الإنسانية العملية في المجالات المختلفة(١).

يقول المستشرق "فيلويز"، وقد كان نصرانيًا: «الإسلام وحده يستطيع أن يحقق الانسجام التام مع الحياة في هذا العالم. فهو دين سهل لا التواء فيه ولا تعقيد، مجرد من كافة الافتراضات التي لا سبيل إلى الإيمان بها ...، وقد أصبحت مسلمًا؛ لأنَّ هذا الدين هو الوحيد الحق نظريًا وعلميًا».

وتقول المستشرقة "جميلة قرار": «أعجبني الإسلام أن يكون دينًا عالميًا يوحد جميع الأديان والألوان في ظل نظام ديني فريد فهناك مساواة وأخوة حقيقية بين المسلمين لا ولم يعرف مثلها المجتمع الغربي على الإطلاق، كما لا تستطيع العبارات الجوفاء كالشيوعية مثلا أن تقدم مثلها»(٢).

ثالثًا: مناقشة داوتي في بشارة يوحنا:

ذكر الله تعالى في القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، أنَّ عيسى عليه السلام بشر بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم في الإنجيل باسمه "أحمد"، فقال: ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾ [سورة الصف:٦].

وداوتي من خلال كتاباته(٣) ذكر هذه البشارة وأشار إلى الآية، وهو يعرفها تمامًا، لكن هذا النص الذي ورد في الإنجيل شكَّل له لغزًا كما يقول.

ويبدو أنَّ سبب الإشكال عند داوتي تجاه هذه البشارة، هو انفراد إنجيل يوحنا عن غيره من أصحاب الأناجيل الأخرى، في وصف أهم حدث –وهو وصف الوداع الأخير للمسيح– يقول "موريس بوكاي"(٤): «كيف يمكن أن نشرح الغياب التام في أناجيل متى، ومرقس، ولوقا، لرواية الوداع المؤثر الذي يحتوي على الوصية الروحية للمسيح؟ هل

---

(١) موسوعة بيان الإسلام (ج٨)، شبهات حول مقارنة الأديان (ص:٧٨).

(٢) قالوا عن الإسلام (ص:٢٠٩).

(٣) يقول داوتي: «وهذا الأحمد، أو هذا العظيم المبارك، ورد اسمه باليونانية القديمة في الكتاب المقدس الجديد، أو الهيليني على أنه شديد الوضوح. ومن هنا، فإن علماء الدين غير المتحضرين، يقولون أن علماء النصارى الحاقدين، حرفوا الكلمة اليونانية التي معناها "المريح" (٣)، (وهذه الكلمة وردت أربع مرات في الإصحاح الأخير للمسيح من الآية الرابعة عشرة إلى الآية السادسة عشر ضمن سورة القديس جون)». انظر: ترحال (ج٢/م١/ص:٢٠).

(٤) طبيب فرنسي تحول إلى من النصرانية الى الإسلام، درس الكتب المقدسة دراسة نقدية مقارنة.

كان النَّص موجودًا عند الثلاثة الأولين؟ هل حُذِف فيما بعد؟ ولماذا؟»ثم يقول: «لا يمكن الإتيان بأي إجابة، فاللُّغز مستغلق تمامًا بالنسبة لهذه الثغرة الكبيرة في رواية المبشرين الثلاثة»(١).

فما هو نص البشارة؟ وكيف فسرها النصارى؟ وكيف الرد عليهم؟

نص بشارة يوحنا كما وردت؛ يقول المسيح لتلاميذه في الوصية الأخيرة: «إن كنتم تحبونني فاعملوا بـــــــ وصاياي، وسوف أطلب من الآب أن يعطيكم معيناً آخر يبقى معكم إلى الأبد. وهو روح الحق الذي لا يقدر العالم أن يتقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه»(٢).

هذه البشارة هي أهم البشارات في الكتاب المقدس، ولا يستطيع أحد من النصارى إنكارها، سواء رضي بها، أو لم يرض بها.

وهي تتنبأ ببعثة محمد صلى الله عليه وسلم وهي تصديقًا لما أخبرنا الله به في كتابه، لكن داوتي وغيره من النَّصارى يفسرون هذا (الآتي) بأنَّه روح القدس وأنَّه جاء وحلّ في تلامذة المسيح، وينكرون أن يكون المعني بها هو محمد ﷺ.

وإذا سلمنا بقولهم هذا سوف يظهر من سياق البشارة الواردة عدة إشكالات، لا يمكن تفسيرها، وبالفعل هذه الإشكالات هي ما قصدها داوتي في نصِّه السابق.

والحق الذي لا يخالطه الشك، أنَّ المذكور على لسان المسيح عليه السلام –هو محمد ﷺ–وليس روح القدس؛ لأنَّه المعنى الوحيد الذي يزيل كل الإشكالات الواردة في الإنجيل عندما يكون المقصود (روح القدس)، وبيان ذلك ما يلي:

١- أنَّ روح الحق هو إنسان وليس روح، وأكدَّ هذا يوحنا في الإصحاح (٤/١-٦)، حيث ذكر أنَّ روح الحق هو إنسان صادق من الله، كما ذكر ذلك في حاشية كتاب أورشليم الفرنسي في نفس النص(٣)، ولو كان (روح الحق) هو (روح القدس) كما يعتقد النصارى لتعارض مع نصوص أخرى في الإنجيل(٤).

٢- روح الحق هي روح أخرى غير روح القدس؛ لأنَّ النُّبوءة تذكر أنَّ هذه الروح مرتبطة بغياب المسيح حيث يقول المسيح (إن لم انطلق لا يأتيكم..)، وهذا يعني أنه لا

(١) القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم، موريس بوكاي (ص:١٣٠).

(٢) الكتاب المقدس، انجيل يوحنا (١٤/ ١٦، ١٧).

(٣) النبوة والأنبياء في المسيحية واليهودية والإسلام، سابق (ص:١٤٨).

(٤) رسالة يوحنا الأولي (٤/١-٦).

يمكن أن تجتمع هذه الروح والمسيح في الدنيا أبدا، وذلك يتعارض مع بقية النصوص[١] التي تؤكد وجود روح القدس في حياة المسيح[٢].

٣- كلمة (روح القدس) في النبوءة تسبب إشكالًا كبيرًا؛ لأنَّ (روح الحق) ذكرت ثلاث مرات في النبوءة، بينما اختلفت مرة واحدة في هذه الفقرة، بدون أي مبرر لاختلافها كما أنَّ مواصفات هذا المُعين في النَّص تتعارض مع كون الكلمة (روح القدس)[٣]، والإشكال يزول عندما تكون الكلمة (الروح)مجردة من (القدس)[٤]، وقد أكد موريس بوكاي من واقع مقارنته هذا النص مع مخطوطة سريانية اكتُشفت في سيناء عام ١٨١٢م؛ حيث وجد أنَّ الكلمة الواردة في هذا الموضع هي (روح) وليست (روح القدس) وهذا يؤكد أنَّ كلمة (القدس) أضيفت فيما بعد[٥].

من خلال ماسبق يتبين أنَّ روح القدس لا يمكن أن يكون هو المقصود في البشارة، والمعنى الصحيح هو أن هذه البشارة في محمد ﷺ، وهو روح الحق، وذلك لعدة أمور:

الأول: أنَّ كلمة (المعين) اختلفت في الطبعات الأخرى حسب الترجمات، فذكرت المعزي، والوكيل، والمحامي، هذا حسب الطبعات الحديثة، أما في الطبعات القديمة للإنجيل، فقد ورد لفظ آخر، وهو (باركليت)، أو (فارقليط) بدلا عن المعين.

و((فارقليط) مُعربة من كلمة: (باراكليتوس) اليونانية (PERIQLYTOS)، المترجمة عن الأصل العبراني؛ لأن لسان المسيح كان عبرانيًا، ومن عادة أهل الكتاب يترجمون الأسماء ويضعون بدلها معناها، أو صفتها، والكلمة اليونانية المعادلة لاسم (أحمد ومحمد) هي: (بيركليتوس)، أو (باراكليتوس)، ولما جاء المترجمون عرَّبوها

---

(١) ثبت وجود الروح القدس مع داوود، في انجيل متى (١٢-٣٦)، وذكر الروح القدس مع زكريا، لوق (١-١٣)، كما كان شاهداً عند خلق السماوات والأرض كما في التكوين (٢/١)، وكان مع بني إسرائيل طويلاً؛ كما في إشعيا(١١/٦٣). انظر: هل بشر الكتاب المقدس بمحمد ﷺ (ص: ١٣١).

(٢) النبوة والأنبياء في المسيحية واليهودية والإسلام، سابق (ص:١٥٠).

(٣) ذكر ابن تيمية: (يوحنا استعمل في حديثه عن البارقليط أفعالاً حسية كا (الكلام، والسمع، والتوبيخ) في قوله: (كل ما يسمع يتكلم به) وهذه الصفات لا تنطبق إلا على بشر، وأما الروح فغاية ما يصنعه، إنما هو الإلهام القلبي، والسمع والكلام صفة بشرية، لا روحية) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية (٥/ ٢٩٢).

(٤) يقول موريس بو كاي: (إن هذا النص من النسخة اليونانية غير مفهوم بتاتا، إذا ما قابلناه مع كلمتي الروح القدس في الآية (٢٦) من الإصحاح (١٤)، ولكن إذا حذفنا كلمتي الروح القدس من هذه الجملة، فانها تعطينا دلالة شديدة الوضوح). انظر: القرآن والتوراة والانجيل، موريس بوكاي (ص:١٣٤).

(٥) النبوة والأنبياء في المسيحية واليهودية والإسلام، سابق (ص: ١٤٨).

إلى كلمة "فارقليط"، ثم ترجموا هذه الكلمة بالعربية إلى "المعزِّي" أو "المحامي" أو "الشفيع"[١].

وعلى هذا المعنى (الحمد) تكون البشارة صريحة في النبي صلى الله عليه وسلم اسمًا ومعنى، فهو صاحب لواء الحمد، وأمته هم الحامدون الذين يحمدون الله على كل حال، ويذكر عبد الوهاب النجار[٢] في كتابه "أنه سأل المستشرق الإيطالي "كارلونالينو[٣]"؛ «ما معنى "بيريكلتوس"؟ فأجابه قائلاً: إن القسس يقولون: إن هذه الكلمة معناها "المعزِّي"، فقال النجار: إني أسأل الدكتور "كارلونالينو" الحاصل على الدكتوراة في آداب اليهود باللغة اليونانية القديمة ولست أسأل قسِّيسًا، فقال: إنَّ معناها "الذي له حمد كثير"، فقال النجار: هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من "حمد"؟، فقال الدكتور: نعم، فقال النجار: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسمائه "أحمد"»[٤].

لكن النَّصارى لا يعترفون بهذا المعنى ويقولون بأنَّ معنى (الفارقليط): المخلص، والمعزي، والمحامي، والشفيع، والوكيل، وفي ظنهم أنَّ هذا يبطل الاستدلال بها على نبينا صلى الله عليه وسلم والحق، أنَّها ألفاظ مترادفة المعاني تنطبق على صفات نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، فهو فارقليط، وشفيع، ومخلص، ومعزي.

الثاني: سياق نصوص البشارة تؤكد أنَّه النبي المبشر به وفيما يلي بيانها:

المسيح يقول: "في الإصحاح ١٦: «ولكني أقول لكم الحق، من الأفضل لكم أن أذهب؛لأني إن كنت لا أذهب لا يأتيكم المعين، ولكني إذا ذهبت أرسله إليكم»[٥]، ولا أفضل من عيسى عليه السلام إلا النبي محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الذي يتحقَّق فيه معنى الأفضلية؛ إذ هو خاتم النبيِّين الذي جاء بشريعة عامة خالدة[٦].

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، سابق (٢/ ٧٠٣)، بتصرف.

(٢) عبد الوهاب النجار (١٨٦٢– ١٩٤١م) أديب، مؤرخ، مصري. من مؤلفاته: قصص الأنبياء، تاريخ الخلفاء الراشدين. انظر: معجم المؤلفين (٦/ ٢٢٠).

(٣) كارلو ألفونسو نلينو (١٨٧٢ – ١٩٣٨م) مستشرق إيطالي، كان عضوا بالمجمع العلمي الإيطالي، والمجمع اللغوي بمصر، والمجمع العلمي العربي بدمشق، كان مشرفا على مجلة الدراسات الشَّرقية، من آثاره: تاريخ الآداب العربية من الجاهلية حتى عصر بني امية. انظر:الأعلام للزركلي (٥/ ٢١٣)، ومعجم المؤلفين (٨/ ١٣٧).

(٤) بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ (ص:٢٤٢)، نقلا عن؛ قصص الأنبياء، عبد الوهاب النجار (ص: ٣٩٧، ٣٩٨).

(٥) إنجيل يوحنا / إصحاح (١٦)، آية (٧).

(٦) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، سابق (٢/ ٧١١).

ويقول في نفس الإصحاح: «ولكن عندما يأتيكم روح الحق يرشدكم إلى الحق كله؛ لأنه لا يقول شيئًا من عنده، بل يخبركم بما يسمعه، ويطلعكم على ما سيحدث»، وهذه الوصف ينطبق على حال نبينا محمد ﷺ، (فإنه هو الذي أرشد الخلق إلى عبادة الله وطاعته، وحذرهم من عصيانه، وبقيت شريعته واستمرت مع الناس إلى الأبد، وهو الذي أخبرَنا بأمور غيبية كثيرة؛ سواء عن الدنيا وما سيَحدُث فيها بعد وفاته، أو عن الآخرة وما بها من بعثٍ وحساب وجنه ونارٍ)[(١)].

الثالث: إن كان المعنى (المخلِّص)، اقتضى أنَّ المخلص رسول يأتي لخلاص العالم؛ لأنَّ كل نبي مخلِّص لأمته من الكفر، ويشهد له قول المسيح عليه السلام وذلك من خلال نص آخر ليوحنا في رسالته، فهو يستخدم نفس الكلمة للإشادة بالمسيح في النص: «إني جئت بخلاص العالم» فدلَّ السياق على أنَّ المرسل هو كائن بشري مثل عيسى عليه السلام، وبناء عليه يكون معنى؛ (بارقليطًا آخر)؛ مخلِّصًا آخر[(٢)].

وبهذا يتأكد أن ذلك المعزي أو روح الحق، تبشيراً بمحمد ﷺ إذ فيه تجتمع كل الأوصاف الواردة في البشارة.

وفيما يلي بعض الشواهد والأدلة التي تؤيد ما سبق وتؤكد أنَّ النصارى تعمَّدوا تحريف هذه النبوءة:

أولًا: ورود لفظ (الباركليت) في طبعات الأناجيل القديمة وآخرها المطبوع سنة ١٨٢١، ١٨٣١، ١٨٤٤م، واعتراف كتب الرُّدود النصرانية بورود هذا اللفظ، ولم يحصل من أحد منهم الجزم بإنكاره، ومحاولة تفسيرهم لهذه الكلمة واختلافهم في صرف دلالتها يدل على أنها وردت.

ثانيًا: أنَّ النَّصارى في القرون الأولى كانوا بانتظار (الفارقليط) حتى زمن محمد صلى الله عليه وسلم، مما دفع الكثيرين لانتحال هذا اللَّقب كذبًا[(٣)].

ثالثًا: ما ذكر في (المعجم الصغير للعهد الجديد) أنَّ لفظ (الباركليت) لم يرد في العهد الجديد إلا في خمسة مواضع، أربعة في إنجيل يوحنا، والخامس في رسالة

---

(١) تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، سابق (٢/ ٧١٢) بتصرف.

(٢) انظر: القرآن والتوراة والإنجيل، موريس بوكاي (ص:١٣٤)، ومنحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب (١/ ٢٥٨).

(٣) وادعى مونتنوس في القرن الثاني (١٨٧م) أنه البارقليط القادم، ومثله صنع ماني في القرن الرابع فادعى أنه البارقليط، وتشبه بالمسيح فاختار اثنا عشر تلميذاً وسبعون أسقفاً أرسلهم إلى، بلاد المشرق، ولو كان فهمهم للبارقليط أنه الأقنوم الثالث لما تجرؤوا على هذه الدعوى.انظر: بشرية المسيح ونبوة محمد ﷺ (ص:٢٤٥).

يوحنا[١]، وكذلك وردت هذه الكلمة (البارقليط) في كتاب: تحفة الجيل في تفسير الأناجيل للخوري يوسف إلياس الدبس الماروني[٢].

رابعًا: شهادات العلماء الأفاضل كالشيخ رحمت الله الهندي، حيث وقف عليها، وكانت بين يديه عندما كتب كتابه (إظهار الحق) ورد على النصرانية[٣]. ويقول أحد الباحثين: «وقد وقفت على مخطوطة لترجمة التوراة والزبور والإنجيل في إسطنبول بمكتبه عاطف أفندي تحت رقم: (٧). وفيها ذكرت لفظة (الفارقليط)»[٤].

خامسًا: شهادات بعض النَّصارى المهتدين: ومنهم علي بن ربن الطبري[٥] ودافيد بنجامين كل داني – الذي هداه الله إلى الإسلام وغيّر اسمه إلى: (عبد الأحد داود)، وكذلك القس الأسباني "أنسلم تورميد"[٦]، فكل هؤلاء أسلموا بعد أن تبيَّنت لهم الحقيقة في كتبهم، وعلموا بالأدلة الواضحة أنَّ معنى الفارقليطليس هو الرُّوح القدس، وليس أيّ شيء يدعيه النَّصارى، وإنَّما هو اسم محمّد ﷺ، وبيّنوا ذلك في كتبهم التي ألَّفوها فيما بعد، مؤيَّدة بأدلَّة من نصوص الأناجيل وقواميس اللغات[٧].

ثانيًا: موقف داوتي من شخصيَّة محمد صلى الله عليه وسلم :

لدى داوتي اضطراب كبير في معلوماته عن الإسلام خاصَّة مايتعلق بالنبي ﷺ وقد ظهر لي أنَّه لم يكن له موقفاً محددًا في ذلك؛ وسبب ذلك في ظني إمَّا تأثُّره بالمستشرقين ودراساتهم في تلك الفترة من جانب،فقد ذكر أحد الباحثين: (بأنَّ رؤية المستشرقين للنبي ﷺ في القرن التاسع عشر لم تحدد مسارها، فقد تفاوتت آراء

(١) انظر: القرآن والتوراة والإنجيل، موريس بوكاي (ص:١٢٦).

(٢) انظر: بشرية المسيح ونبوة محمد (ص:٢٤٠).

(٣) انظر: إظهار الحق (٤/ ١١٨٥).

(٤) انظر: محمود قدح في حاشية كتاب إظهار الحق، بتحقيقه (ص:٥١١)، وانظر: تخجيل من حرف التوراة والإنجيل، سابق (٢/ ٧٠٣).

(٥) علي بن ربن الطبري، أبو الحسن: طبيب حكيم، مولده ومنشأه بطبرستان، كان نصرانياً فأسلم على يد المعتصم، من كتبه: الدين والدولة وتحفة الملوك. انظر: الأعلام للزركلي (٤/ ٢٨٨).

(٦) أنسليمتوريدا، وكان من أحبار النصارى، ثم تسمى عبد الله بن عبد الله بعد إسلامه واشتهر بالترجمان، ولد سنة ٧٥٦هـ، لأنه استقر مع أمراء الحفصيين بتونس يترجم الرسائل الواردة إلى ديوان السلطان. توفي سنة ٨٣٢هـ، له كتاب: تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب. انظر معجم المؤلفين (٦/ ٧٨).

(٧) انظر: النبوة والأنبياء في اليهودية والمسيحية والإسلام (ص:١٥٧)،وتخجيل من حرف التوراة والإنجيل (٢/ ٧٠٣).

المستشرقين في شخصية النبي ﷺ تبعًا لإختلاف تصوراتهم عن الإسلام في تلك الفترة تحديدا؛ وذلك بسبب التطور الملحوظ في الدراسات الاستشراقية)[1].

أوتمسُّكه بمسيحيته وتعصُّبه الديني من جانب آخر، فالقاريء لكتابه يحتار لموقفه تجاه النبي هفتجد أنَّه تارَّةً يحترم شخصه، ويبدي إعجابه بعقليته، وشجاعته، وتواضعه، وفي كثير من المرَّات يسيء إليه.

وفيما يلي سأعرض بعض مواقفه المسيئة لشخص النبي الكريم ﷺ ثم الرَّد عليه.

- **نسب النبي صلى الله عليه وسلم:**

عندما يتحدث داوتي عن نسب النبي هيتبين لنا مدى ضعف مصدريته عن الإسلام وضحالة تلك المعلومات التي يتلقاها، ومن ذلك فكرته عن نسب النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: «القريش وجمعه القوارش؛ أهل محمد من ناحية الأم هم أناس من البدو الفقراء الذي ينظر الناس اليهم في منطقة مكة نظرة ازدراء واحتقار، وهذا؛ لأن آباءهم أساءوا معاملة الرسول»[2].

فهذا النص يحتوي على إشكالات ثلاثة:

الأول: قوله: قريش وجمعه القوارش.

الثاني: نسبته إلى قريش من جهة أمه.

الثالث: أن أهل قريش هم من البدو الفقراء، ونظرة الناس إليهم.

وفيما يلي مناقشة كلًّا منها:

المناقشة والرد:

الإشكال الأول: قُرَيْش اسم قبيلة من قبائل العرب، وفي اللُّغة عند النسبة إليها، يقال: قُرَشِيٌّ، وقُرَيْشِيٌّ، قال الشاعر: (بكل قُرَيشِيّ عليه مهابَة ... سريع إلى داعِي الندى والتكرم)، وكون اللفظ قرشيّ، فجمعها هو: قُرَشيين وقُرشيُّون، وليس (قوارش) كما ذكر داوتي[3].

الإشكال الثاني: أخطأ في نسب النبي ﷺ حيث جعل نسبته إلى قريش من جهة أمه، وهذا غير صحيح، إذ أنَّه صلى الله عليه وسلم ينتسب لقريش من جهة أبيه وأمه.

---

(١) نبوة محمد في الفكر الاستشراقي المعاصر، د.لخضر شايب (ص:٩٢)، بتصرف.

(٢) ترحال (ج٢/م٢/٢٨٧).

(٣) انظر: تاج العروس (١٧/ ٣٢٦)، ولسان العرب (٦/ ٣٣٦)، والكناش في فني النحو والصرف (١/ ٤٩)، والمطلع على ألفاظ المقنع (ص: ٣٩٠).

ونسب الرسول صلى الله عليه وسلم كما ذكر ابن هشام هو: «محمد بن عبد الله، بن عبد المطلب، بن هاشم، بن عبد مناف، بن قصي، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر، بن مالك، بن النضر، بن كنانة، بن خزيمة، بن مدركة، بن إلياس، بن مضر، بن نزار، بن معد، بن عدنان، وينتهي نسب عدنان إلى إسماعيل بن إبراهيم»(١).

وأُمُّه «آمنة بنت وهب، بن عبد مناف، بن زهرة، بن كلاب، بن مرة، بن كعب، بن لؤي، بن غالب، بن فهر ووالدها سيد بني زهرة نسبًا وشرفًا»(٢).

وتجتمع أمه آمنة بنت وهب مع أبيه عبد الله بن عبد المطلب في كلاب بن مرة، ويفترقان من ولده(٣).

الإشكال الثالث: فيما يتعلق بمكانة قريش، إذ يدعي داوتي أنَّ قريشًا من الفقراء البدو، وأنَّ الناس ينظرون إليهم نظرة ازدراء(٤)، وهذا فيه تقليل إساءة للنَّبي ﷺ وقدح في مكانته، وهذه من الشُّبه التي استحدثها المستشرقون على نبينا ﷺ، فقد ظلَّ المستشرقون ومن مضوا في ركابهم من المؤرخين الآخرين، يطعنون في حسب ونسب الرسول الأكرم ﷺ، ويقولون: بأنَّه من أسرة اجتماعيَّة متواضعة، وأنَّ والده توفي قبل مولده ﷺ، ومن هنا كانت حالته المالية –عليه الصَّلاة والسلام– متدنِّية، وبناءً عليه اتجه ﷺ في طفولته إلى احتراف رعى أغنام أهل مكة، وهذا في رأيهم دليل على تدني المستوى الاجتماعي(٥)وهذا افتراء هدفه التَّشويه والتزييف، فهو ﷺ من أشرف الناس نسبًا وحسبًا، من آباء كرام كلهم سادة في قومهم، ولهم مكانة عظيمة بين العرب، وقد اشتهروا بالحكمة والشجاعة والكرم، قال ابن هشام: «فرسول الله صلى الله عليه وسلم أشرف ولد آدم حسبًا، وأفضلهم نسبًا من قبل أبيه وأمِّه»(٦).

كما أنَّ الله –تبارك وتعالى– لم يبعث نبيًا إلا في أشرف قومه، ودليل ذلك شهادة عظيم الروم هرقل، عندما جاءه أبو سفيان مع وفد من تجار قريش، يقول أبو سفيان:

---

(١) سيرة ابن هشام، ت السقا (١/ ١).

(٢) المرجع السابق (١/ ١١٠).

(٣) انظر: نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز (١/ ٢٠).

(٤) «أهل محمد من ناحية الأم هم أناس من البدو الفقراء الذي ينظر الناس إليهم في منطقة مكة نظرة ازدراء واحتقار، وهذا لأن آباءهم أساءوا معاملة الرسول». انظر: ترحال (ج٢/م٢/ص:٢٨٧).

(٥) انظر: الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي (ص: ٢٧).

(٦) سيرة ابن هشام، ت السقا (١/ ١١٠).

((ثم كان أوَّل ما سألني عنه أن قال: كيف نسبه فيكم؟ قلت: هو فينا ذو نسب ... فقال للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها))[1].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم عن نفسه في ذلك: «إنَّ الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشًا من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم»[2].

فقريش لها مكانة بين العرب، يعرفها القاصي والداني، وفيهم يقول النبي ﷺ: ((الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم تبع لمسلمهم وكافرهم تبع لكافرهم والناس معادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا تجدون من خير الناس أشد الناس كراهية لهذا الشأن حتى يقع فيه))[3].

ويقول: ((فضل الله قُرَيْشًا بسبع خصال فضلهم بأَنَّهم عبدُوا الله عشر سنين لم يعبد الله إلّا قرشي وفضلهم بأَن نصرهم يَوم الفِيل وهم مشركون وفضلهم بأَن نزلت فيهم سورَة من الْقُرْآن لم يدْخل فيهَا أحد غَيرهم من الْعَالمين وهِي ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ [سورة قريش:١] وفضلهم بأَن فيهم النُّبُوَّة والخلافة والحجابة والسقاية))[4].

وقد اعتاد العلماء على تصنيف كتبٍ في فضائلهم خاصة، وهذا فيه دلالة على ما اشتهروا به عن غيرهم من القبائل الأخرى.

كذلك بنو هاشم من قريش أفضل من غيرهم، فقد كان لها شرف السيادة في الأشهر الحرم على قريش مكة طبقًا للأصول آنذاك، وقد كان ينظر إليها نظرة إعزاز واحترام في جميع أنحاء شبه الجزيرة العربية، وكان لهم شرف تحمل مسئولية السقاية بين أشراف قريش، وكلّ هذا لا يدل أبدًا على تدنّي المستوى الاجتماعي لأهل محمد ﷺ، ولا على الضعف المالي كما زعم بذلك داوتي وغيره[5].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ ح(٧).

(٢) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب فضل نسب النبي ﷺ وتسليم الحجر عليه قبل النبوة، رقم (٢٢٧٦).

(٣) صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب قول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ رقم (٣٣٠٥).

(٤) أخرجه الطبراني في "الأوسط" (٩ / ٧٦)، باب الميم، من اسمه مصعب، رقم (٩١٧٣)، وانفرد به المصنف من طريق هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ.عَنِ الزُّبَيْرِ.

(٥) انظر: الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي (ص: ٢٧)، والصواعق المحرقة على أهل الرفض والضلال والزندقة (٢/ ٥٥٥).

ويمكن الرَّد على داوتي بشهادة أحد القساوسة الغربيين، حيث يقول: «هاشم هو الجدُّ الأعلى لمحمد، وكان أكثر الرجال تميزًا في سلسلة نسب محمد، فإليه ينسب محمد ورهطه فيقال لهم: بنو هاشم، أو الهاشميون، وكان اسم أم محمد آمنه، التي يمكن تتبع سلسلة نسبها في أسرة مميزه في القبيلة نفسها»(١).

أمَّا ما يدعيه من أنَّ الناس ينظرون لهم نظرة ازدراء لما فعلوه بالنبي ﷺ فهذه من تخيلات داوتي التي لا معنى لها، ولم يعامل الناس القرشيين في زمن من الأزمان بازدراء، أو انتقص أحدٌ مكانتهم، أو عابهم بشيء.

دليل ذلك أنَّه كان هناك من قريش ممن آذى النبي صلى الله عليه وسلم في جاهليته، قد أسلم وآمن بالنبي ﷺ وكان من خيرة الصحابة ولم يعامله الناس بسوء وازدراء، فهذا أبو سفيان كان من الذين اجتهدوا في معاداة النبيّ ﷺ طيلة فترة الدعوة في مكة، وقد ذكر الطبري أنَّه كان مَّمن اجتمعوا في دار الندوة يخططون لقتل رسول الله ﷺ قبيل هجرته إلى المدينة المنورة(٢)، وكل من كان من سلالة قريش إلى زماننا هذا، فإنه يُعلى شأنه، ويعرف قدره، ولا يجوز لأحد أن ينظر إليه باحتقار، أو يُهينه، لقول رسولَ الله صلى الله عليه وسلم: «من أراد هَوَان قريش أهانه الله»(٣).

ومما يذكر في هذا المقام، ما قاله أحد المهتدين، وهو الكاتب الأمريكي "جون ديفنبورت"(٤): «يظهر نسب محمد الوراثي كأمراء في بلدهم ليس فقط في المعاملات التجارية الخارجية والمحلية، ولكن أيضًا حكمهم وسيادتهم بالرَّأي لما يتميَّزوا به من حكمة، وأمانة»(٥).

وهكذا يتبيَّن ممَّا سبق: أنَّ داوتي أخطأ في نسب النبي ﷺ، وذكر نسبه جازمًا بدون ذكر مصدر، أو الاستناد على دليل، وهذا يدل على الخلل المنهجي إذ لم يعتمد على مصادر صحيحة وموثوقة، وإنَّما هي ما كتبه الغربيُّون عن النبي ﷺ ولم تسلم

(١) محمد مؤسس الدين الإسلامي ومؤسس امبراطورية المسلمين، جورج بوش (ص:١٣٨)، بتصرف.

(٢) انظر: تاريخ الأمم والملوك، الطبري (٥٦٦/١).

(٣) أخرجه الترمذي في "جامعه" (٦ / ١٩٥)، أبواب المناقب عن رسول الله ﷺ، باب في فضل الأنصار وقريش، رقم (٣٩٠٥).

(٤) جون ديفنبورت (١٧٨٩–١٨٧٧م)، من كبار الكتاب الإنجليز، في العصر الفيكتوري، يلقب بالمدافع العنيد عن الإسلام، تأثر به الكثير من المفكرين في إنجلترا وأوروبا، له عدة مؤلفات في اللغة والتاريخ والأديان. انظر: دفاع واعتذار لمحمد ﷺ والقرآن، جون ديفنبورت، ترجمة صالح صابر زغلول (ص:٢٧).

(٥) دفاع واعتذار لمحمد ﷺ والقرآن، جون ديفنبورت، ترجمة صالح صابر زغلول (ص:٤٥).

كتاباتهم من الكذب والتزييف، وبهذا يتضح ضحالة الفكر الغربي، وضعف شبهاتهم، وكل افتراءاتهم مردودة عليهم، ومهما حاولوا من إساءة لشخصه، أو تقليل شأنه ﷺ، فلن يؤثر ذلك في إيماننا بنبوته.

- **دعاء النبي صلى الله عليه وسلم على قومه:**

يسيء داوتي لشخص النبي صلى الله عليه وسلم، وينسب إليه ماليس من صفات الأنبياء أصلًا، افتراء منه، حيث يزعم أنَّ النبي هكان يدعو على قومه المُعادين له، وقد ذكر هذا النَّص في معرض حديثه عن العرب وأنَّهم يعتدون بألسنتهم على غيرهم، وأنَّ الدُّعاء، والسَّب، والشتم، لا يكاد يفارق ألسنتهم، ثم يستشهد على ذلك بفعل النبي هفي ذلك –حاشاه عليه الصلاة والسلام– وأنَّ أمته مثله.

فيقول: «النبي يدعو على من أزعجوه: أسفك دماءهم، وأمت أطفالهم جوعًا، وعقِّم نساءهم، ورمِّل زوجاتهم، سوف يصرخون من داخل بيوتهم عندما ينزل الغزو عليهم فجأة. يارب لا تغفر لهم تجاوزهم، أقلق أرواحهم، دمرهم من تحت السماء وأحل عليهم لعناتك»(١).

وفي هذا النَّص إساءة للنَّبي ﷺ، وادَّعاء باطل بلا حجة ولا مستند صحيح، بل إن هذا مما لا ينبغي في حق أيِّ نبيٍّ من الأنبياء، ومن خلال المناقشة والرد عليه سيتبين وجه بطلانه.

المناقشة والرَّد:

إنَّ كتابة داوتي لمثل هذا يدل على جهله بسيرة المصطفى ﷺ، فهو يتعارض مع ماعُرف عنه ﷺ من حسن خلقه، وحلمه، وعفوه، حيث إنَّ الرَّحمة، والرَّأفة، والصَّبر على الأذى من صفات الأنبياء، ولم يرسلهم الله إلى أقوامهم إلا ليُخرجوهم من الظُّلمات إلى النُّور، ويبشِّروهم برحمة الله، وينذروهم عذابه.

وقد بعث الله الأنبياء مبشِّرين ومنذرين، قال تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [سورة الأنعام:٤٨].

وقال عن النبي ﷺ: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء:١٠٧].

وقال: ﴿ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [سورة التوبة:١٢٨].

---

(١) ترحال (ج١/م١/ص:٤٦٨).

ولم يكن النبي ﷺ فاحشا في القول، فقد روي عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين. قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنَّما بعثت رحمة»[(١)].

ويوجد الكثير من النماذج على رأفة النبي ﷺ بأمته وعفوه عنهم، فقد كان يدعو للكفار، ومن آذاه بالهداية والصلاح، ومن ذلك ما روي عن أبي هريرة قال: قدم الطفيل بن عمرو على رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إنَّ دوسًا قد عصت، وأبت فادع الله عليها، فظن الناس أنه يدعو عليهم، فقال: «اللهم اهد دوسًا، وأت بهم»[(٢)]، كما دعا لأم أبي هريرة حتى هداها الله[(٣)].

وقد خصَّ أمته بدعوته، فهو صلى الله عليه وسلم أعظم الخلق جاهًا عند الله لا جاه لمخلوق عند الله أعظم من جاهه ولا شفاعة أعظم من شفاعته، وقد أعطاه الله دعوة مستجابة، فجعلها لأمته، فقال:«لكلِّ نبي دعوة دعا بها في أمته فاستجيب له وإني أريد إن شاء الله أن أؤخر دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة»[(٤)].

ولا يعني ذلك أنَّه لم يدعُ على أحد، فإنَّه قد ورد دعاؤه على بعض الكفار، لكن لم يكن دعاؤه عليهم إلا الصَّبر عليهم، كما لم يشمل دعاؤه نساء ولا أطفال كما افترى ذلك داوتي، بل إنَّه ثبت دعاؤه على لمن آذاه فإنه ﷺ عندما آذاه قومه وعشيرته أشد الإيذاء، وضعوا الشوك في طريقه، والقذر على بابه، وحاولوا خنقه وقتله، ووطئوا رأسه، وهو

---

(١) صحيح مسلم، كتاب البر والصلة والآداب باب النهى عن لعن الدواب وغيرها ح(٢٥٩٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب الدعوات باب الدعاء للمشركين ح(٦٠٣٤).

(٣) يقول أبو هريرة ت: ((كنت أدعو أمي إلى الإسلام وهي مشركة فدعوتها يوما فاسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره، فأتيت رسول الله ﷺ وأنا أبكي قلت يا رسول الله إني كنت أدعو أمي إلى الإسلام فتأبى علي فدعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما أكره فادع الله أن يهدي أم أبي هريرة. فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اهد أم أبي هريرة» فخرجت مستبشرا بدعوة نبي الله ﷺ فلما جئت فصرت إلى الباب فإذا هو مجاف فسمعت أمي خشف قدمي فقالت مكانك يا أبا هريرة وسمعت خضخضة الماء قال فاغتسلت ولبست درعها وعجلت عن خمارها ففتحت الباب ثم قالت يا أبا هريرة اشهد ان لا إله إلا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال فرجعت إلى رسول ﷺ فأتيته وأنا أبكي من الفرح قال قلت يا رسول الله أبشر قد استجاب الله دعوتك وهدى أم أبي هريرة فحمد الله وأثنى عليه وقال خيرا قال قلت يا رسول الله ادع الله ان يحببني انا وأمي إلى عباده المؤمنين ويحببهم إلينا قال فقال رسول الله ﷺ اللهم حبب عبيدك هذا يعني أبا هريرة وأمه إلى عبادك المؤمنين وحبب إليهم المؤمنين فما خلق مؤمن يسمع بي ولا يراني إلا أحبني))، صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة ي باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ت ح(٢٤٩١).

(٤) صحيح مسلم، كتاب الإيمان باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ح(١٩٩).

يصلي، ووضعوا سلا الجزور على ظهره، ومع ذلك كان يقول: ((اللَّهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون))[١].

وكان يقول عن نَّبي من الأنبياء: ((ضربه قومه فأدموه وهو يمسح الدم عن وجهه ويقول اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون))[٢].

فهذا خلق النبَّي صلى الله عليه وسلم، وهذه حقيقته، وداوتي إنَّما يَّدعي في كتابه أمورًا لا يذكر فيها مصادره ولا يستند فيها على أدلَّة وليس له فيها حجة ولا برهان، فهل هذه النزاهة والعلمية التي وصفه بها أصحابه؟

وفي هذا المقام يحسن الاستشهاد بنصوص بعض المنصفين؛ من علماء الغرب الذين شهدوا بخلق النبي صلى الله عليه وسلميقول المستشرق الفرنسي كليمان هوار: «اتفقت الأخبار على أن محمدًا كان في الدرجة العليا من شرف النفس،وكان يلقب بالأمين أي بالرجل الثقة المعتمد عليه إلى أقصى درجة،إذ كان المثل الأعلى في الاستقامة»[٣].

ويقول المستشرق مونتيه[٤]: «كان محمد كريم الأخلاق، حسن العشرة، عذب الحديث، صحيح الحكم ...»[٥]، فكيف يُشهد له بحسن العشرة، وعذب الكلام، ثم يقول داوتي عنه هذا؟!

ويقول نهرو: «فاقت أخلاق نبي الإسلام كل الحدود، ونحن نعتبره قدوة لكل مصلح يود أن يسير بالعالم إلى سلام حقيقي»[٦].

---

(١) انظر: السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة (٢/ ٦٣٩)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى – محذوف الأسانيد (٢٢١/١).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الأنبياء حديث الغار ح(٣٢٩٠)

(٣) عظمة النبي ﷺ في عيون المنصفين وعقلاء الغربيين، د. محمد السقا عيد (ص:٩)، نقلا عن: تاريخ العرب، الجزء الأول.

(٤) مونته (١٨٥٦-١٩٢٧)، فيلسوف ومستشرق كبير بفرنسا من اصل سويسري اشتهر بدراساته عن العرب والإسلام بالعمق والاصولية والموضوعية من أشهر آثاره : ترجمة القران الى الفرنسية، وتاريخ شعب إسرائيل والإسلام. انظر: المستشرقون للعقيقي (٢٢٩/١).

(٥) الرسول ﷺ في عيون غربيه منصفة، الحسيني (ص:١٥٩)، وعظمة النبي ﷺ في عيون المنصفين وعقلاء الغربيين (ص:١٦).

(٦) الرسول، في عيون غربيه منصفة، الحسيني (ص:١٦٨).

ويقول المستشرق الإنجليزي السير موير[(١)] : «إن محمدًا نبي المسلمين لقب بالأمين منذ الصغر بإجماع أهل بلده لشرف أخلاقه وحسن سلوكه، ومهما يكن هناك من أمر فإن محمد أسمى من أن ينتهي إليه الواصف ولا يعرفه من جهله وخبير به من أمعن النظر في تاريخه المجيد»[(٢)] .

لا يمكن أن يرشح محمد ﷺ من قبل أعدائه قدوة للعالم إلا وهو مُبرّأ تماما من كل ما يُتهم به من قبل هؤلاء المعتدين.

وبعد كل هذا يتبين بطلان ما افتراه داوتي، واتهم به النبي صلى الله عليه وسلم.

(١) وليم موير (١٨١٩-١٩٠٥)، كان أمينا لحكومة الهند. آثاره: سيرة النبي والتاريخ الإسلامي، وحوليات الخلافة، ومصادر الإسلام. انظر: المستشرقون، للعقيقي (٤٩٢/٢).

(٢) عظمة النبي ﷺ (ص:١٠)، نقلا عن:حياة محمد (ص:٢٠).

نتائج البحث وتوصياته:

١- تبيّن من خلال البحث أنَّ رحلات الغربيين في الجزيرة العربية -ومنها رحلة داوتي- هي جزء لا يتجزأ من منظومة الاستشراق والتنصير. كما أنَّ العلاقة بين الرحلات والاستشراق علاقة متبادلة، تقوم على الأثر والتأثر، فالرحالة الغربيين اعتمدوا في رحلاتهم على تراث المستشرقين في بناء الأفكار المسبقة، من جانب أن المستشرقين استندوا على نتائج رحلاتهم في الكتابة عن الإسلام والمسلمين.

٢- هناك معلومات جيِّدة ومهمَّة في كتاب داوتي يُرجى الاستفادة منها، ومن العدل والإنصاف الاعتراف بإيجابيات كتابه، التي تجلَّت في وصف الصَّحراء والحياة البدوية العربية، ووصف عادات العرب في المأكل والمشرب والملبس، إلى غير ذلك مما لا يتعلق بجانب الدين.

٣- يظهر أنَّ داوتي كان يرفض بعض الأمور في الدِّيانة النصرانية، مثل: اختصاص أصحاب السُّلطة الدينية بأمور الدِّين عن غيرهم، ووساطة الكهنوت، وغيرها، إلى جانب رفضها للعلم، أو عدم الاعتناء به، فقد كان يؤمن أنَّ كلَّ هذه عوامل تأخر الحضارة.

٤- ترى الباحثة أنَّ كتاب (ترحال في صحراء الجزيرة العربية) لا يمكن الاعتماد على المعلومات الواردة فيه ولا سيَّما التي لها علاقة بالإسلام والمسلمين، إذ إنَّ تأثر داوتي بكثير من المستشرقين ظاهر في كتابه، إلى جانب العيوب المنهجية التي ظهرت في كتاباته.

ثانيًا: التوصيات.

١- توصية للمهتمين بمجال الدراسات التاريخية والأثرية: البحث في كتاب داوتي فيما يتعلق بالأنساب، والتاريخ، والآثار؛ وذلك لاشتماله على معلومات لا يمكن إغفالها.

٢- توصية للباحثين في مجال العقيدة: دراسة منهج الرحالة الغربيين في الكتابة عن الإسلام والمسلمين، سواءً كانت في موضوعات متفرقة في كل كتب الرحالة، أو في موضوع واحد يجمعها، ويكون عنوانه: (مناهج الرحالة الغربيين في كتاباتهم عن الإسلام والمسلمين).

المصادر والمراجع:

- الإسلام والمسلمون بين أحقاد التبشير وضلال المستشرقين، عبدالرحمن عميرة، دار الجيل، الطبعة: الأولى ١٩٩٩م.
- الأعلام، الزركلي، خير الدين دار العلم للملايين، بيروت، ط١٤، ١٩٩٩م.
- افتراءات فيليب حتى وكارل بروكلمان على التاريخ الإسلامي، عبدالكريم علي باز، الناشر: تهامة،رسائل جامعية (١٦) جدة، الطبعة: الأولى ١٤٠٣ه.
- تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان، كارل، ترجمة: نبيه أمين فارس، ومنير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط١١، ١٩٨٨م.
- الترحال في جزيرة العرب، بايارد تايلور، ترجمة: رنا جزائري، تحرير وتعليق: د.أحمدإيبش.
- الجامع الصحيح المختصر، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، مراجعة: د.مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير –اليمامة –بيروت، ١٤٠٧ه– ١٩٨٧م.
- الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي السلمي، مراجعة: أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي –بيروت.
- دفاع واعتذار لمحمد ﷺ والقرآن، جون ديفنبورت، الكتاب النادر الذي حاربته أوروبا هو ومؤلفه لدفاعه عن الإسلام وكشف زيف المفترين، ترجمة: صالح صابر زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى
- رحلات داوتي في الجزيرة العربية، ادوارد غارنت، ترجمة: عدنان حسن، دار الوراق للنشر المحدودة ٢٠٠٩م.
- رحلات في شبه جزيرة العرب، بوركهارت، جون لويس، ترجمة: عبد العزيز بن صالح الهلابي، وعبد الرحمن بن عبد الله الشيخ، بيروت، مؤسسة الرسالة ١٤١٣هـ– ١٩٩٢م.
- الرسول القائد، محمود شيت خطاب، دار الفكر – بيروت، الطبعة: السادسة، ١٤٢٢هـ.
- الرسول ﷺ في عيون غربيه منصفة، حسين حسيني معدى،دار الكتاب العربى – دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ه.
- شبه المستشرقين حول النبوة والدعوة –عرض ونقد–، محمد زين العابدين الطشو، رسالة علمية للحصول على درجة الماجستير، جامعة الأزهر – كلية أصول الدين – القاهرة.
- شرح العقيدة الطحاوية، لصدر الدين محمد بن علاء الدين عليّ بن محمد ابن أبي العز الحنفي، الأذرعي الصالحي الدمشقي، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشؤون الإسلامية، والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
- شرح الكتاب المقدس القمص تادرس يعقوب، صمويل الثاني الآيات – إلكتروني.
- شرح الكتاب المقدس للقس انطونيوس فكري، تفسير صمويل الثاني الآيات – إلكتروني.

- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٤ه– ١٩٩٣م.
- صحيح مسلم، لأبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، مراجعة: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ١٣٧٤ه–١٩٥٤م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري، لأحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩م، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين، محمد يعقوب.
- الكتاب المقدَّس، كتاب الحياة النسخة الثانية ٢٠٠٢م، الصادرة عن (international biblesociety).
- لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعىالإفريقى، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤هـ.
- معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية.كحالة، عمر رضا، مكتبة المثنى، بيروت، ودار إحياء التراث العربي، بيروت.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، الزرقاني، محمد بن عبد العظيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة.
- نهاية الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، دار الذخائر – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ.٢٨٢.
- الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي الهجمات المغرضة على التاريخ الإسلامي، محمد ياسين مظهر صديقي، ترجمة: دكتور سمير عبد الحميد إبراهيم، دار الصحوة للنشر، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م.
- الوحي المحمدي، محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني الحسيني، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.